

## الديمقراطية الشكلانية والدولة الفاشلة



تعيشها البلاد اقتصاديا واجتماعيا دون أن تبادر إلى حلول بعيدة المدى، فاشلة بمقاييس الصناديق المالية، أي العاجزة عن الإيفاء بتعهداتها المالية، فضلا عن بناء اقتصاد مستقر قادر على استقطاب الأموال والمستثمرين.

الحالي من خلال فتح الحدود أمام العمالة التونسية العائدة إلى البلاد، وخاصة أمام السياح تحت ضغط رجال الأعمال. وبالتنتيجة، فإن تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس منذ 2011 وإلى الآن نجحت في مراكمة الأزمات والتوترات الداخلية والخارجية، وظلت الحكومات المحسوبة على الثورة تراقب الأزمة العميقة التي

فما الذي يمنع من ظهور إعلام موال لجماعات متشددة طالما أن مشروع القانون الجديد يسمح له بذلك. كذلك ما الذي يمنع من تدفق المال الخارجي على جهة سياسية بعينها بما يمكنها من إغراق البلاد بإعلام موجه.

يشار إلى أن مشروع القانون الجديد يأتي أساسا كردة فعل على نشاط الهايكا التي يتهمها الإسلاميون بالانحياز ضد إعلامهم خاصة برفض الاعتراف بالفصائيات والإذاعات الحزبية، أو التي يمولها ويديرها أشخاص معروفون بانتماهم. وانتقل الصراع من البرلمان ليطال مختلف مؤسسات الدولة، وهو ما تؤكد حالة التوتر بين الرئيس قيس سعيد، ورئيس الحكومة هشام المشيشي، وهو ما يهدد بتعطيل عمل الحكومة وإحداث فراغ سياسي جديد. الرئيس سعيد يسعى لوضع يده على الحكومة والإشراف عليها بصفته رئيسا للجمهورية وانتدب لذلك شخصية بدت هادئة ومطمئنة، لكن بعد الحصول على ثقة البرلمان بدأ رئيس الحكومة الجديد بالتغيير وإظهار استقلاليتها بالاستقواء بأطراف حزبية وبرلمانية.

ويتخوف التونسيون من خطورة هذا الصراع، خاصة أن الحكومة الجديدة تواجه أزمات متعددة، وبالحد الأدنى من الإمكانيات، خاصة مواجهة وباء كورونا في غياب التمويلات اللازمة، وتخلى الحكومة السابقة، التي كان يرأسها إلياس الفخفاخ، عن تعهداتها بتوفير كمية اللقاح الكافية وأسرة الإعتاش وأجهزة التنفس وبناء مستشفيات متحركة بعد أن وفرت تمويلات كافية من حملة تبرعات واسعة.

وكانت حكومة الفخفاخ التي تستند إلى "حزام ثوري" داخل البرلمان قد أوقفت الاستعدادات للموجة الثانية من كورونا خلال فترة الصيف بعد أن نجحت البلاد في تطويق الموجة الأولى، وأقدمت على خطوات زادت من تعقيد الوضع

واللغظي والمادي. وللمفارقة، فإن التلفزيون الرسمي يوفر قناة خاصة تتولى نقل نقاشات البرلمان، وهو ما ساهم في رفع مستوى الخطاب الحاد، خاصة أن النواب يريدون إظهار "ثورتهم" وارتفاع أصواتهم في سياق حملات انتخابية سابقة لأوانها. لكن المهم، هنا، أن المؤسسة التشريعية التي يفترض أن تتولى صياغة القوانين الضرورية للتمكين لخطاب الثورة الراديكالي تحولت إلى فضاء لصراع من نوع جديد، صراع لوبيات الفساد والمال، التي نجحت في استقطاب أعداد وازنة من النواب والسياسيين، وصارت القوانين تمرر وفق مصالح الفئات النافذة بدل أن تكون وفق مصالح الشعب الذي انتخب البرلمان.

وتضغط المنظمات الحقوقية كذلك لأجل منع تمرير مشروع قانون جديد لـ"إصلاح الإعلام" تتهمه نقابة الصحافيين، وهيئة إصلاح الإعلام السمعي والبصري (هايكا) بأنه يهدد بإغراق القطاع بوسائل إعلام جديدة دون ضوابط، وأن هدفه الأساسي هو ضرب الدور التعديلي الرقابي الذي تتولاه الهايكا أو مجلس الصحافة المنشكل حديثا، ما يهدد بأن يفتح البلاد أمام إعلام مشبوه، خاصة أن الضابط الوحيد الذي يطرحه القانون الجديد هو الاستجابة لكراس شروط تهتم بالجانب المادي أكثر من معرفة من يقف وراء المشروع ومن يموله والهدف منه.

ويعيد هذا المشروع، الذي يتبناه ائتلاف الكرامة (إسلامي شعبي)، المخاوف مما جرى في 2011 و2012 حين تم فتح الباب أمام "أصناف الشريعة" للقيام بأنشطة علنية بزعم سحبهم إلى العلن بدل تركهم يعملون في السمر، وكيف تم استثمار تلك الفترة في الاستعراض الميداني والتدريبات قبل أن يرفعوا السلاح بوجه الدولة.

وباتت انتقادات كثيرة توجه إلى البرلمان بسبب خروجه عن دوره وسط دعوات إلى حله وإجراء انتخابات جديدة على أمل أن تقضي إلى برلمان يمتلك حدا أدنى من التوازن بدل البرلمان الحالي الذي يعيش حالة من التناقضات سواء في "السياحة" الحزبية والتنقل بين الكتل، أو في مشاريع القوانين التي تطرح أمامه. وأصرت، الثلاثاء، مجموعة من الجمعيات المدنية والحقوقية يدينا حثت فيه رئيس الجمهورية قيس سعيد على التدخل لمنع تمرير قانون يهدف إلى منح الحصانة لقوات الأمن والجيش لما يحمله من تهديد

مختار الدبابي  
كاتب وصحافي تونسي

يبدو أن أصوات المناهجين عن ثورات "الربيع العربي" التي تتجاهل كل من ينتقد ديمقراطية "النموذج" التونسي قد بدأت تخفت في ظل مؤشرات كثيرة على أن هذه التجربة قد صنعت ديمقراطية شكلانية مفرغة من أي قيمة اجتماعية، وتحولت إلى ما يشبه لعبة قديمة لأطفال يتقاذفونها في كل اتجاه بالرغم من أنها قد فقدت بريقها. ومع اقتراب سنتها العاشرة باتت ديمقراطية الثورة التونسية شيئا منفصلا عن حياة الناس ومطالبهم والأحلام التي صنعوها عن تغيير جذري في أوضاعهم، وعلى العكس فقد زادت تلك الأوضاع صعوبة على كل المستويات.

والأرقام والتقييمات المحايدة، التي تطلقها الجهات المالية الدولية، تؤكد أن الاقتصاد التونسي بات في أزمة مركبة يصعب الخروج منها خاصة مع إغراقه بالديون التي لجأت إليها حكومات سياسية "ثورية" تفقد للخبرة في إدارة مؤسسات الدولة، وللرؤية الناظمة لاقتصاد هش ظل لعقود يبني توازنه على صورة البلاد واستقرارها وانفتاحها لجذب المستثمرين والسياح.

لكن الطبقة السياسية الجديدة لم تستثمر صورة الانتقال الديمقراطي الجذاب في بناء علاقات دولية لاستقطاب الأموال والمستثمرين. ومنذ البداية عملت هذه الطبقة على خطف الأضواء عن خلال صراعات سياسية حادة هادفة إلى التغطية على عجزها عن قيادة البلاد وغياب أفكار وبدائل للحكم. وتحول الصراع السياسي إلى واقع دائم وسام بشكل جلي في إشاعة التشاؤم واليأس من المستقبل، خاصة لدى الشباب وهو ما تعكسه استطلاعات الرأي المتعددة. وتمثل مؤسسة البرلمان بؤرة لهذا الصراع من خلال خطاب يقوم على

## جدي هو ربك يا فخامة الرئيس!

فخامة الرئيس، جديا السوري (يسوع المسيح) هو ربكم يا سيدي. تلك العبارة الذكية التي تفوق فيها أبوريثة في استدعاء التاريخ ليخاطب الرئيس الأميركي خطاب الأنداد، كانت كافية لأن تفتح بابا عريضا بين الرجلين لصداقة شخصية تجاوزت حواجز الخطاب الرسمي المرسوم والجامد إلى فسحة الشعر والأدب والفكر الإنساني العالمي الذي كان ملاذا للرئيس كينيدي ليستمتع بالإحصاء إلى نفاثسه بصوت الشاعر أبوريثة الذي كان يحفظ الغزير من الشعر الإنجليزي ويتفتن في إلقائه في مجلس الرئيس؛ وكان كينيدي يستزيد في كل لقاء جمعتهما من طلب التعرف إلى العرب وشؤونهم ولغتهم وما اشتهروا به من أدب وبيان شعري وفنون الخطابة. وفي واحدة من الجلسات الخاصة غير البروتوكولية، قال كينيدي لعمر



أبوريثة تعبيراً عن شدة إعجابها بما سمع منه من جمال القول والتعبير "أنت مبدع يا عمر، ولو كنت أميركيا لعينتك مستشارا خاصا لي"، فأجاب أبوريثة بحنكته وسرعة بديهته المتهودتين "فخامة الرئيس، لو كنت أميركيا لكنت الآن أجلس على كرسيك في البيت الأبيض".

عمر أبوريثة كان واحداً من رجالات سورين كبار مثلوا بكل ما يحمل الكبرياء السوري النادر ومظاهره الوطنية الرفيعة، طلعات بلادهم في السيادة والوحدة والاستقلال تمثيل العاطي وليس الطالب، وحملوا أمانة التعبير عن طموحات وآمال بل والام مواطنين في المحافل العربية والدولية. والذاكرة السورية مسكونة بأسراب من التنويريين السوريين من أمثال شكري القوتلي ونزار قباني وماري عجمي وفارس الخوري ومحمد كرد

علي ونازك العابد... إلى آخر قائمة طويلة من الرائدات والرواد في عالم الفكر والسياسة والأدب الذين مثلوا درة التاج على رأس التاريخ السوري ما بعد الاستقلال وما قبل الحقبة السوداء للبعثة المسيحية. تلك الباقة العبقرة قطفتها باناء من أرض غنية بأسماء مئات السوريات والسوريين ممن كانوا وما زالوا يمثلون الهوية الوطنية السورية الخاصة وقد نسجت بحناية من الوان الطيف المجتمعي التعدي الذي ميز الموزايك الإثني والديني والعرقي السوري في مشهد واحد منسجم ومتكامل لم يعرف توجسا من الآخر أو انغلاقا عنه قبل أن تعرف دمشق طغيان الحاكم الأوحده المستبد، الذي استولى على مقاليد الحكم في انقلاب عسكري قاده حافظ الأسد على الشرعية (على نقائصها) في بداية السبعينات، وأطاح بالحياة المدنية في البلاد، حاملا معه عقيدة شق الصف وإيقاع الفرقة بين أبناء الشعب السوري الواحد على نهج سياساته العنصرية التي عُرف بها: فرّق تسد.

في العام 1971، ومع خضوع العاصمة دمشق لأجهزة القمع تحت تهديد سلاح "فرانكو" الشام، أيقن عمر أبوريثة أن لا مكان له في التشكيلات السياسية ما بعد انقلاب

مرح البقاعي  
كاتبة سورية أميركية

صديقي الشاعر النجدي المغمم بحب الشام والشعر، وخلال حوار هائفي تناولنا خلاله هماً مشتركاً عن حال سوريا الصعب بتعقيدهات وشجون أحداثه التي غدت لا تعد ولا تحصى، أثار في ذاكرتي حداً تاريخياً سجله شاعر سوري هو علامة في تاريخ الأدب والشعري العربي المعاصر، شاميك عن نبوغه في المواقع الدبلوماسية السورية التي شغلها أثناء عمله في الخدمة الخارجية.

إنه الشاعر والدبلوماسي السوري عمر أبوريثة الذي رحل عنا جسداً، لكن إرثه لم يزل كل طالعه يوم يدق أبواب الجذالة في الخطاب، والحكمة في السياسة، والبلاغة في الكبرياء والحافز الوطني الذي ميز أداءه حين تمثيل بلده سوريا في العالم سفيرا أو مبعوثاً حكومياً. وكلما دار التاريخ دورته ليلقي الضوء على شخصيات تركت بصماتها على صفحات منه مضبوطة، راودتنا أبيات من مقاماته الشعرية تدور وتدور كدرويش صوفي في حرم باحة بيت دمشقي. قال صديقي "في العام 1961 تم تعيين الشاعر السوري عمر أبوريثة في العاصمة واشنطن سفيرا لسوريا إلى الولايات المتحدة. الرئيس الأميركي آنذاك كان جون كينيدي الذي عرف عنه ثقافته الواسعة وشغفه بالحضارات الإنسانية في دول ما وراء المحيط الذي يفصل القارة الأميركية عن دول أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط. وخلال الاجتماع الأول للشاعر أبوريثة مع الرئيس الأميركي كينيدي لتقديم أوراق اعتماده سفيرا لسوريا، سال كينيدي السفير السوري أن يحدثه عن السوريين ويعزفه بهم أكثر، فما كان من أبوريثة إلا أن أجابه بلهجة فطنة تمزج بين الخيال الشعري والرصانة الدبلوماسية:

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة العقبوي

تصدر عن

AI-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk